الصوت الذي تبحث عنه

قصة بقلم حسن نصر

أمضى جابر عمار ما يزيد على الستين يومـا يتردد على دار المعتمدية .. في كل يوم يقطع ذهابا وايابا ما يقرب من الخمسة عشر كيلو مترا سيرا على الاقدام تحت الشمس المحرقة ، ويأتي بعد ذلك امام باب المعتمدية ينتظر الحاجب حتى يأذن له بالدخول .

حائط المعتمدية يبسط ظله المديد على الساحة الكئيبة الصفراء ، والرجال يقفون تحت ظل الحائط منذ الصباح الباكر ، فطار طويـل من العاطلين جاءوا من أماكن متفرقة ، كل واحد ينتظر دوره فـي الدخول .

يتلاقون كل صباح ، يتحدثون أو يتخاصمون من أجل الاماكـن ، وكثيرا ما يركنون الى الصمت الطويل ، وهم يشردون بأبصارهم عبـر الساحة الصفراء أو يذبون الذباب الاسود عن وجوههم ، وفي أوقـات أخرى يتنادرون ويضحكون ضحكات بيضاء سرعان ما تتلاشى أصداؤهـا عبر الساحة ، وقد نسي جابر عمار كل تلك النوادر لان بقلبه كثيـرا من الهموم والذي بقلبه هموم لا يتذكر في غالب الاحيان شيئا .

يجلس الرجال وعيونهم مفتوحة .. الريح تنفخ في الساحة فتهز الغبار ويتساقط على رؤوسهم . وامام الباب الكبير المقوس يجلس الحاجب على كرسي أعرج يراقب بجفنه الدامي كل داخل وكل خارج. فاذا أقبلت الساعة العاشرة من كل صباح يصل السيد المعتمد فـي سيارته الجميلة البيضاء ، فيهرع اليه الحاجب . يفتح له بـاب السيارة ، ويفسح امامه الطريق .

يدخل السيد المعتمد الى دار المعتمدية فيبقى بها ساعة او اقل من الساعة ثم يخرج بعد ذلك ليمتطي سيارته الجميلة البيضاء. وينطلق به السائق في سرعة فائقة مخلفا وراءه سحابة من الغبار ، ويتفـرق الجمع في ذلك اليوم ليعود صباح اليوم التالي من جديد .

في اليوم الستين بالعدد ، سمح الحاجب لجابر عمار بالدخول . وأمره بأن يتوجه راسا الى مكتب التسجيل ، حتى يتم ترسيم اسمه ضمن قائمة الرجال العاطلين ، ويقع النظر في شأنه من طـرف المسؤولين .. لكن جابر عمار أخطأ الباب فتوجه الى مكتب السيـد المعتمد ، ودخل المكتب .

كان السيد المعتمد يجلس خلف مكتبه الفخم العريض اللامع . وقف جابر عمار لحظة ينظر صامتا ، فلما راى المعتمد لم يرفع راسه اليه ، تقدم الى وسط القاعة ، وغطست قدماه في البساط المفروش في القاعة . كان السيد المعتمد منغمسا في أوراقه : ومد يده الـى فنجان قهوته ليأخذ منه رشفته . فوقعت عينه على الرجـل ، فصـاح به حتى اضطربت القهوة بين أصابعه :

ـ ماذا جئت تفعل هنا ؟

ـ جئت يا سيدي المعتمد لاطلب منك ..

ـ من أمرك بالدخول الى مكتبي هنا ؟

ـ لا أحد .

ـ لا أحد ، بكل هذه الوقاحة . وكيف دخلت اذن ؟

ـ دخلت لاطلب منك ياسيدي ...

ـ ماذا ستطلب مني ؟ ومن دلك على مكتبي ؟

ـ لم يدلني أحد .

ـ ما هذه الوقاحة ؟ اخرج من أمامي حالا !

ـ أرجوك ، يا سيدي ، أن تسمح لي بكلمة صغيرة لا غير .

ـ قلت لك اخرج حالا .. أين هو الشاويش ؟

يضغط على الزر بينما يواصل جابر عمار كلامه غير مكتـرث بشيء .

ـ كلمة صغيرة لا غير ، كلمة واحدة .

يقبل الشاويش مهرولا في تلك اللحظة ، يقف امام سيده وهـو يكاد يقبل الارض بين يديه قائلا :

ـ نعم ، سيدي ، ما حاجاتكم ؟

ـ من سمح لهذا المتصعلك بالدخول الى مكتبي ؟

يتطلع الشاويش في وجه جابر عمار كممثل السرك الهزلي ويساله بدوره قائلا في بلاهة :

ـ من أمرك بالدخول الى مكتب سيدي المعتمد ؟

وهنا ينفد صبر المعتمد فيصيح بالشاويش :

ـ انا الذي اسالك . أجبني عن سؤالي قبل ان تتوجه اليـه بالكلام .

يلتفت الشاويش كممثل السرك الحقيقي ويقول مضطربا :

ـ نعم سيدي .. لقد امرته بالذهاب الى مكتب التسجيـل لترسيم اسمه لكنه ...

وهنا يقاطعه المعتمد صائحا :

ـ ... لكنه دخل الى مكتبي .. اصطبل هنا؟ كل انسان يستطيع

ان يدخل ويخرج مثلما يشاء ، ماذا تفعل انت هنا ؟ ما هو شغلك ؟

ـ لقد أمرته بـ ...

يقاطعه المعتمد من جديد :

ـ ألم يمر من أمام عينيك ، ألم تكن لك عيون تبصر ؟

يقول الشاويش في اضطراب واضح :

ـ لم يمر من أمام عيني ...

ـ اذن لقد مر من خلف عينيك .. والان ماذا تنظر حتى تخرجه من أمامي وتغرب انت الآخر عن وجهي بسرعة ؟

يحاول الشاويش ان يدفع بالرجل الى الخارج . لكن الرجل يمتنع عن الخروج ويحاول ان يستعطف المعتمد قائلا :

ـ أرجوك يا سيدي ، ما دمت قد دخلت ، ان تسمح لي بكلمة صغيرة ، كلمة واحدة لا غير .

ويأخذ الرجلان يتدافعان بكيفية واضحة . الشاويش يدفع بالرجل والرجل يمتنع عن الخروج . ويلاحظ المعتمد ذلك من وراء مكتبه فيحاول ان يحسم الموقف ، ويصيح بالشاويش قائلا :

ـ دعه الآن يتكلم ، ما دمت لا تحسن القيام بواجبك .

ثم يتوجه بالسؤال الى جابر عمار :

ـ هيا تكلم قل هذه الكلمة !

ـ كلمة صغيرة لا غير .

ـ أريد يا سيدي : عملا .

ـ عملا ..

ـ نعم . أنني عاطل يا سيدى ، عن العمل .

ـ عاطل عن العمل ! ...

ـ نعم . ولي زوجة وسبعة أبناء ليس لهم احد غيري .

ـ ما هي صناعتك ؟

ـ ليس لي صناعة .

ـ أقصد ماذا كنت تعمل قبل أن تصبح عاطلا ؟

ـ كنت اعمل بالارض . كنت فلاحا احرث الارض وازرعها واجني الزيتون وأقوم بجميع الاعمال الفلاحية .

ـ ولماذا خرجت من الارض الذي كنت تعمل بها ؟

ـ الزيتون الذي اشتغل به فلعنه التعاضدية .

ـ وهل هو ملكك الخاص ؟

ـ أ أنا مجرد عامل ، يا سيدي . أنا لا أملك شيئا

ـ ولماذا أخرجك صاحب الارض الذي كنت تشتغل عنده ؟

ـ ليس هو الذي أخرجني ، التعاضدية هي التي أخرجتني .

ـ وماذا فعلت حتى أخرجتك ؟

ـ لم أفعل شيئا ، يا سيدي . وانما قالوا لنا : ان الارض تحتاج لكل هؤلاء العمال ، وبما أنه لا بد من تنقيص بعض العمال ، فقد أخرجونا . وقالوا ان اصحاب الارض أحق بالشغل منا

وقال المعتمد :

ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ بعد ذلك طالبهم بالشغل فقالوا لي : اذهب الى السيد المعتمد فستجد عنده الشغل .

ـ أنا عندي شغل ؟..

ـ أرجوك ، يا سيدي ، اقبل يدك ، اعطني عملا . أنا لا أريد أن أضطر الى الاسجداء أو السرقة .

وهنا صاح المعتمد غاضبا :

ـ ما هذه الوقاحة ؟ أصبحت تهددنا بالسرقة ؟ سوف نقطع رأسك قبل أن تفكر في شيء كهذا !

ثم ملتفتا الى الشاويش :

ـ اخرجه من أمامي حالا ، ولا أريد أن أرى وجهه !

يأخذ الشاويش يدفع الرجل الى خارج المكتب ، ويأخذ الرجل يصيح :

ـ اعطوني عملا ولن تروا وجهي أبدا .

ويسأله المعتمد :

ـ كم مضى عليك من الوقت وانت عاطل بغير عمل ؟

ـ مضت عليّ ستة أشهر

ـ هه .. تقول ستة اشهر ، غيرك مضت عليه ست سنوات وهو ينتظر دوره ، ومع ذلك لم يجرؤ على الدخول الى مكتبي ها هنا .

وفي هذه الآونة يكون الشاويش قد دفع بالرجل خارج المكتب ؟ ويكون جابر عمار قد أصبح وراء أسوار المعتمدية ، ومع ذلك يستمر المعتمد يصيح بأعلى صوته الى أن يتشقق صوته وهو يردد :

ـ اخنوه من أمامي ، لا أريد ان ارى وجهه ، لا أريد ان اسمع صوته .. لا أريد ان ارى وجوهكم ولا ان اسمع اصواتكم .

حسن نصر

الثورة الجنسية

تاليف جورج بالوشي هورفات

ترجمة الدكتورة سامية أسعد

يعالج هذا الكتاب احدى المشكلات الهامة التي يواجهها عصرنا اذ يتحدث عن ثورة حقيقية في الاخلاق ، اي عن احلال نظام جديد محل النظام القديم البالي ، فيما يخص العلاقة بين الجنسين قبل الزواج ومدى اباحتها ، وفي اثناء الزواج وما يترتب عليه من اجهاض وطلاق وانجاب الخ .. وتتلخص النتائج التي انتهى اليها المؤلف في ان العالم شهد ثورتين جنسيتين نقلتاه من التزمت الى الاعتدال تارة والى الاباحية والانحلال تارة اخرى ، وفي ان المراة في العالم اجمع بدات تتحول من كائن طالما احتل مرتبة ادنى من الرجل الى كائن حر له مكانته الاجتماعية ، بل له مكانة تفوق مكانة الرجل احيانا ، كما في اميركا حيث المراة متسلطة ..

وقد عالج المؤلف موضوعه بطرق مختلفة ، ففي السويد مثلا اجرى تحقيقا مع الطلاب ، وفي افريقيا طالع « بريد القلوب » وفي فرنسا رجع الى تحقيقات المجلات النسائية المتخصصة التي يقارنها براي الدارسين مثل اندريه موروا وسيمون دو بوفوار ، وفي ريو دي جينيرو شرح بسيكولوجية الذكر في اميركا اللاتينية ، وفي اسبانيا عبّر عن دهشته لنيران الجحيم التي ما تزال تسود روح المراة وحسها . وتحمل له المانيا والولايات المتحدة واليابان وايطاليا والعالم الاسلامي حصادا من الحكايات ذات المغزى ووقائع طريفة من الحياة .

والخلاصة ان هذا الكتاب الذي لا يعالج موضوع الجنس من الناحية البيولوجية يعتبر اول محاولة شاملة لدراسته من الناحية الاجتماعية على الصعيد العالمي ، باسلوب مشوق جذاب ..

صدر حديثا عن دار الآداب — الثمن ٥٠٠ ف.ل